شخصية الأمير عبد القادر الأسطورية في المخيال الشعبي الجزائري

د. مصطفى أوشاطر - جامعة تلمسان

مقدمة :

ليست الكتابة عن الأمير عبد القادر بالعملية السهلة ، فهي أمر معقد و مدهش في الوقت نفسه ، إنه من الصعوبة بمكان أن نقول فيه كلمة تستوفيه حقه ، فلقد كتب عنه الكثير إلا أن كلمة الفصل في شخصه لا زالت بعيدة المنال ، فالرجل صاحب سيرة طويلة مذهلة ، له تاريخ عظيم و مكانة مميزة اعترف له بها العدو قبل الصديق ، و هي حقيقة لا يستطيع نكرانها إلا جاحد ماكر .

شخصية الأمير عبد القادر الجزائري شخصية متعددة الجوانب و مختلفة الأبعاد ، تركت أثرها على المجتمع الجزائري ، فهي شخصية دينية و أدبية و سياسية و عسكرية من الطراز الأول ، الأمر الذي جعلها مثار استغراب و تعجب لدى العامة من الناس و مثار فحص و تمحيص عند الخاصة من الناس .

النقطة المركزية في هذه الشخصية تتمثل في كونها تحولت من ظاهرة إنسانية إلى ظاهرة أسطورية ، تشكلت تاريخيا في الذاكرة الشعبية الجزائرية من خلال ما نسجه الخيال الشعبي حولها من خوارق و عجائب .

فلم يعد ينظر إلى الأمير عبد القادر من منظور العامة من الناس كبطل قاوم الاستعمار الفرنسي أو كشاعر ملهم أو كنموذج أخلاقي فحسب ، و إنما أصبح ينظر إليه كشخصية عجيبة لها من القدرات الخارقة و الكرامات الحسية المختلفة التي صنعت منه بطلا خارقا و وليا من أولياء الله الصالحين استمر في أداء وظيفته و القيام بدوره حتى بعد مماته ، فهي الشخصية التي شطح بها الخيال الشعبي ، حيث أسطرها و كون

منها شخصية مقدسة .

و السؤال الذي يطرح نفسه بقوة و هو : **كيف تشكلت شخصية الأمير عبد القادر الأسطورية في المخيال الشعبي الجزائري ؟**

و قبل الإجابة على هذا التساؤل ، أبدأ أولا بتسليط الضوء على المقصود من المعنى الذي يؤديه مصطلح المخيال ، ثم الأسطورة ثانيا .

-1 : في معنى المخيال:

لا يمكن أن نعثر على معنى دقيق ، جامع شامل مانع لما يعنيه مصطلح «المخيال » لأنه من قبيل المصطلحات التي لا يمكن المسك بها و التحكم فيها لسبب أساسي هو أنه مصطلح ذو طابع انزياحي ، تتحكم فيه ميكانيزمات عقلية و نفسية و اجتماعية في آن واحد ، بحيث لا يمكن لمجال علمي واحد أن يلم بكل القضايا الأساسية المتعلقة بمسألته .

و إذا جاز لنا أن نغامر بالاقتراب منه ، فيمكن القول بأنه من المصطلحات الحديثة التي أفرزتها و بلورتها الأبحاث و الدراسات الأنثربولوجية الفرنسية ، ظهر لأول مرة في منتصف القرن العشرين على لسان عالم التحليل النفسي الفرنسي جاك لاكان Jacques Lacan 1901-1981) (، حيث استعمله بمعنى التمثلات الأسطورية للمجتمع .

فالمخيال بالنسبة للأنثربولوجيا الفرنسية ميدان ثري لكشف ما ينتجه الذهن من صور ذهنية و رموز و أساطير، و في هذا السياق نشير إلى جهود العالم الأنثربولوجي الفرنسي جيلبار ديران (1921 Gilbert Durand-2012) المعروف بأعماله حول المخيال و الميتولوجيا، صاحب كتاب « البنى الأنثربولوجية للمخيال « الذي تناول فيه موضوع المخيال من المنظور الأنثربولوجي لا باعتباره كنتاج صادر عن الذات الفردية و إنما كنتاج صادر عن الذات الجماعية ، حيث اعتبر أن « المخيال الفردي يتحول بفعل مرور الزمن و تقادمه إلى مخيال جمعي ، فالمخيال حسبه يستجيب لحاجات و رغبات غريزية داخلية ، تتفاعل و تتصارع مع محيطها الاجتماعي و الإيديولوجي و الديني ، هذا الجمع بين المقاربتين هو ما أطلق عليه جيلبار ديران اسم المسار الأنثربولوجي ، لذلك هو نتاج متطلبات عضوية و نفسية ضمن محيط اجتماعي « [1].

لقد مزج جيلبار ديران في دراسته للمخيال ما بين الاتجاه النفسي و الاتجاه الاجتماعي ، دون إعطاء الأولوية لأحدهما على حساب الآخر ، ذلك لكون « جوهر التمثل و جوهر الرموز يوجدان ما بين هذين القطبين المتعاكسين « [2].

إن التأكيد على ضرورة الجمع بين التحليل النفسي والتحليل السوسيولوجي للمخيال ، هو الموقف الأنثربولوجي الذي تميز به جيلبار ديران و الذي يرى بدون جمعهما يظل كل واحد منهما و هو منفصل عن الآخر قاصرا عن فهم المخيال فهما علميا بناء .

و ما يبرر الجمع بين التحليلين يجيب عنه الباحث الأنثربولوجي التونسي محمد جويلي بقوله : «إن التحليل النفسي والتحليل السوسيولوجي لا يجتمعان كأحسن ما يكون الاجتماع إلا في الأنثربولوجيا «[3].

ثم يواصل قائلا : «فالأنثربولوجيا هي التي تمكن التحليلين من أن يخضع كل واحد منهما للآخر و يتحدا لمواجهة معضلة الإنسان وإبداعاته المعقدة التي يتداخل فيها ما هو خاص بالفرد وحده و ما يجمعه بالآخرين «[4].

نستخلص مما سبق بأن المخيال عند « جيلبار ديران « يجمع بين التصور و الخيال و يتجاوزهما إلى الإطار الاجتماعي الذي تنشئه ثقافة مجتمع ما ، فهو عبارة عن : « مجموعة التصورات المشتركة لدى جماعة معينة اتجاه جماعة أخرى ...» [5]

و هذا ما عبر عنه المفكر الجزائري محمد أركون الذي يرى بأن : « كلمة مخيال Imaginaire هي غير كلمة خيال Imagination ، وإن كانتا تنتميان إلى نفس الجذر اللغوي . فالمخيال يتشكل تاريخيا في الذاكرة الجماعية أو في الذهن ، ويمكن استغلاله سياسيا وإيديولوجيا في اللحظات التاريخية العصيبة . فهو يضرب بجذوره في أعماق اللاوعي عبر تشكله خلال مختلف المراحل التاريخية . هكذا نتحدث مثلا عن مخيال إسلامي ضد الغرب ، أو مخيال غربي ضد الإسلام . فالمخيال هنا هو عبارة عن شبكة من الصور التي تستثار في أية لحظة بشكل لاواعي وكنوع من رد الفعل «6 .

المخيال من منظور محمد أركون هو أيضا عبارة عن بنية أنثربولوجية موجودة لدى كل الأشخاص ، و في كل المجتمعات مهما اختلفت أشكاله و أنواعه ، هو الجانب اللا مرئي في حياة الأفراد ، يسعى الإنسان من خلاله « إلى البحث عن إشباع كل ما لا يستطيع إشباعه في نفسه أو في عقله . فالمخيال بهذا المعنى مرتبط بالرغبة الشعرية

الكامنة في النفس البشرية و التي يحاول من خلالها الإنسان تخيل كل ما يتجاوز قواه الخلاقة « [7]

إن المخيال هو الذي يميز الإنسان عن غيره من الكائنات الحية الأخرى ويعطيه القدرة على خلق الصور و إنشاء الرموز وشبكة المعاني ، فالعيش بالرموز وتوظيفها فعالية إنسانية بكلّ امتياز ، بها يعيش الإنسان ويؤثث وجوده ويبني عالمه المادي والمعنوي ويرسي نظام الأشياء والعلاقات بينه وبين الآخرين من الناس . ودلالة الأشياء والعلاقات لا تدرك إلاّ من خلال استعمالاتها وممّا تتضمّنه من معنى في حياتهم وممّا تتخذه من دلالة في مخيالهم الجمعي . وكما قال «بيار أنصار» فإنّ المجتمعات سواء الحديثة منها أو التقليدية أو تلك المسمّاة بلا كتابة ، تنتج دوما متخيلات «-des imagi naires» لتعيش بها وتبني من خلالها رموزها وصورها عن نفسها وعن الأشياء والعالم ، وبواسطتها تحدد أنظمة عيشها الجماعي ومعاييرها الخاصّة « 8

و خلاصة القول هو أن التعامل مع المخيال تعاملا أنثربولوجيا يجب أن يأخذ بعين الاعتبار أولا طبيعة المخيال بوصفه واقعة نفسية ، و ثانيا بوصفه ظاهرة اجتماعية ذات وظيفة معرفية ، بمعنى أن المخيال هو نتاج لسياق ثقافي عام .

-2 المخيال و الأسطورة :

لقد كشف البحث الأنثربولوجي بأن الأسطورة لم تعد هي الأحاديث الباطلة أو الكاذبة بل هي إحدى الأدوات التي يتحدث بها المخيال الجمعي عن رموزه التأسيسية و يكون من خلالها ذاته ، فلا يوجد مجتمع بلا أساطير و لا رموز تأسيسية ، فكل المجتمعات الإنسانية تملك القدرة على خلق أشكال رمزية غير معروفة تزودها بطابع تقديسي ، وتعد هذه الرموز لغة المخيال التي تمارس سلطتها في المجتمع عن طريق الشرعية التي تكسبها في أذهان الأفراد و تصوراتهم ، و هي تمثل في صورتها العامة عالم الخيال لذلك المجتمع ، فالمخيال إذن هو كما انتهت إليه الدراسات الأنثربولوجية الجانب التعبيري للأساطير و الحكايات و مجموعة التصورات التجريدية . فالأسطورة إذن هي المخيال ، و المخيال هو الأسطورة ، و هذا ما يراه جيلبار دوران بقوله : « إننا كثيرا ما نستعمل كلمات مثل : صورة ، علامة ، أسطورة للتدليل عليه « [9]

فإذا فهمنا الأسطورة بهذا المعنى ، تبدى لنا أنها يمكن أن تقوم بوظيفتين في وقت واحد : وظيفة سلبية و أخرى إيجابية.

- فمن حيث وظيفتها السلبية ، فهي عبارة عن إيديولوجيا(Idiologie) تعمل الأسطورة على توطيد الواقع القائم و استمرار وجوده و من هنا كان أغلب الجهد الفكري السابق فيما يتعلق بفهم الأسطورة منصبا على ما يسميه المفكر الفرنسي بول ريكور بتأويلية الشك ، أي في كشف القناع عن المحتوى الإيديولوجي الذي تخفيه الأسطورة بوصفها وعيا مموها.

- أما من حيث وظيفتها الإيجابية فهي يوتوبيا (Utopie) ، فهي عبارة عن حلم بما لم يوجد بعد ، بالانفتاح على المستقبل ، و تصور أشكال بديلة ، يمكن أن تنوب عما هو واقع قائم ، و هذا ما يدعو بول ريكور إلى دراسته تحت اسم تأويلية الإثبات التي تبين احتمال وجود معنى بعيد للأساطير بالإضافة إلى معناها القريب ، « فليست الأسطورة مجرد حنين لعالم منسي بل إنها تشكل على حد تعبير ريكور كشفا لعوالم غير مسبوقة و انفتاحا على عوالم أخرى ممكنة تسمو عن حدود عالمنا الفعلي المستقر ، و تقوم بوظيفة بعث اللغة و تحديدها « [10].

هكذا يتضح أن المخيال يطلق رموزه التأسيسية من خلال روايته الأساطير و الحكايات عن ماضيه ، و لكنه في الوقت نفسه يدخر في هذه الأساطير و الحكايات تطلعاته إى المستقبل الذي يحلم بتأسيسه لنفسه .

- إن ما يدفع الإنسان إلى التفكير الأسطوري هو عجز العلم عن إعطائه الإجابات المقنعة حول القضايا التي تشغل باله ، و كما يقول عالم الأنثربولوجيا الفرنسي كلود ليفي ستروس : « يبلغ الإنسان مرحلة التفكير بالأساطير دونما معرفة بها « ، فالأسطورة هي كل ما يتنافى و ما يؤمن به العقل ، و كل ما يتعلق بجوانب ما وراء الطبيعة ، شريطة أن يتبناها معظم أفراد المجتمع ، هي كما يراها مالينوفسكي : « الأفكار و الممارسات و العادات التي لا تستند إلى أي تبرير عقلي ، و لا تخضع لأي مفهوم علمي سواء من حيث النظرية أو التطبيق « أو كما يعرفها إنجلز بأنها : « عقيدة شبه دينية ، أو هي نشاط أو سلوك شبه ديني ، و على العموم هي إما منحدرة من عقيدة دينية سابقة أو هي فساد لهذه العقيدة «[11] .

و ما نستنتجه من هذين التعريفين هو أن الأسطورة هي :

- تعبير عن مشاعر المجتمع المشتركة

- تفسير لقضايا و ظواهر طبيعية مردها إلى ما وراء الطبيعة
- إجابة عن تساؤلات الأفراد المبهمة
- عقيدة شبه دينية قائمة على أساس صلة خيالية.

إن علاقة المخيال بالأسطورة إذن هي علاقة وطيدة تتجلى من خلال اعتبار الأسطورة كجزء أساسي من أجزاء المخيال ، لها وظيفتان أساسيتان تعمل إحداها على ترسيخ قيم و مبادئ و تصورات المجتمع و تعمل أخراها على استبدال الواقع بما لم يوجد بعد بهدف خلق التوازن النفسي و الاجتماعي للأفراد .

أولا : مميزات شخصية الأمير بين الحقيقة و الخيال

تجمع الدراسات التي اهتمت بشخصية الأمير عبد القادر الجزائري بأنها متعددة الجوانب ، مختلفة الأوجه ، و في هذا التعدد و الاختلاف ما جعل هذه الشخصية تصنف ضمن عظماء العالم ، فهي تقف على قدم المساواة مع عظماء العالم الذين صنعوا التاريخ ، و تركوا من بعدهم أثرا لا يمكن تجاهله أو نسيانه .

لقد كتب عن هذه الشخصية ما لم يكتب عن غيرها من شخصيات القرن التاسع عشر ، و من باب التذكير فإن الذين كتبوا عنها أول الأمر لم يكونوا من أبناء جنسها و لا من العارفين بلغتها ، و ما زال يكتب عنها إلى الآن و قد مضى على وفاتها أكثر من قرن و ثلث .

و في هذا السياق ، و على سبيل المثال لا الحصر نذكر كتاب : « الأمير عبد القادر « لصاحبه : « يوهان كارل بيرنت « الذي ترجمه و قدم له أبو العيد دودو ، الصادر عن دار هومة 1987 بالجزائر و عنوانه الأصلي بالألمانية :» ثلاث سنوات من حياة الماني بين العرب « .

و عن هذا الكتاب يقول الباحث عبد القادر شرشار : « يقدم الكتاب معلومات تبدو ذات أهمية كبيرة لا يمكن الحصول عليها في كتب أخرى و خاصة ما تعلق منها بشخصية الأمير عبد القادر» [12].

و مما ورد في هذا الكتاب من وصف للأمير قوله : « الأمير عبد القادر رجل شاب في حوالي الثلاثين من عمره ، و هو قصير القامة ، رشيق الجسم ، أبيض اللون ، يرتسم النبل و الحلم على ملامح وجهه ، و كانت عيناه ذوات لون أزرق ، و لكنهما براقتان ، و لحيته

سوداء منتظمة ، و كان صوته عميقا ، و به نعومة و رقة ، و كان يحمل وشما صغيرا فوق جبينه و خده الأيمن و يده اليمنى « .[13]

هذا الوصف الدقيق هو عبارة عن تصوير لشخصية الأمير الحقيقية التي تضع القارئ في حالة من التخيل لشخصيته الباطنية و التي هي مثار إعجاب و احترام من قبل الآخر الأجنبي . و يمكن تلخيصها في الجوانب التالية :

- شخصية البطل الذي قاوم الاستعمار ، و أبلى بسيفه و سلاحه في المعارك البلاء الذي أذهل العدو ، و جعله يعترف له بالبطولة ، و الانتصارات ، و العبقرية في الحرب .

- شخصية الشاعر الذي كان يلهب حماس جنوده بشعر الملاحم و يبث في عزائمهم القوة و الشجاعة و الإقبال على القتال ...

- شخصية الفيلسوف المفكر المدافع عن الإسلام بحجة العقل و قوة البرهان

- شخصية المتصوف الإسلامي الذي سافر في ملكوت السماء باحثا عن الأسرار الإلهية متحمسا في حب الله .

هذه الجوانب المختلفة و المتعددة و التي هي من الصعب أن تجتمع في شخصية واحدة ، هي التي صنعت منه شخصية متكاملة جعلته يلج دائرة العظماء عن جدارة و استحقاق ، و أنزلته منزلة التقديس في الذاكرة الشعبية فصنعت منه البطل الذي لا يقهر و الشخص الذي لا يهزم .

ثانيا : تجليات العظمة عند الأمير بين الخاصة و العامة من الناس :

لكل عظيم حياتان ، حياته الشخصية التي يعيشها لنفسه ، و حياته الثانية بعد مماته ، و هي التي يصنعا الناس له ، و في هذه الحياة الثانية قد ينصف الناس العظيم ، و قد يجورون عليه عندما يسيئون فهمه .

و هذه الحياة الثانية هي حياة خلود العظيم التي تمتد في متسع من المكان و في زمان غير محدود . و الأمير ليس بدعا من هؤلاء العظماء ، فقد كانت له حياته الثانية التي لم يشارك في صنعها إلا بمقدار معين ، و إنما شاركت في رسم ملامحها فئتان ، الأولى فئة الكتاب و المؤرخين و رجال السياسة و الثانية فئة العامة من الناس ، و بما أن موضوع الدراسة يتجه صوب الفئة الثانية ، فسأختصر القول عن تجليات العظمة لدى الفئة الأولى – فئة الكتاب و المؤرخين و رجال السياسة - بالتركيز على التوجه الإنساني

الذي يعكس موقف و رؤية الأمير للحياة الإنسانية و الوجود الإنساني ككل .

اكتسبت النزعة الإنسانية لدى الأمير أبعادا متعددة بحيث لا نستطيع إدراكها إلا من خلال قراءة كل مؤلفات الأمير و جميع ما كتب عنه ، قراءة نقدية ، فاحصة بغية حصر نطاق موضوعات التفكير التي اهتم بها ، و تحديد مميزات النزعة الإنسانية التي تحلى بها ، و بما أن هذا المسعى لا يمكن تحقيقه لأنه يتطلب مجهودا متكاملا و وقتا طويلا فسأكتفي بذكر بعض النماذج التي عكست أبعاد التوجه الإنساني في فكر الأمير ، و ربما يكون مناسبا هنا التركيز على :

- إنسانيته التي تدعو إلى إعادة الكرامة إلى القيمة الإنسانية
- إنسانيته التي تدعو إلى التحرر
- إنسانيته التي ترجح التفكير العقلاني
- إنسانيته التي تأبى العنصرية

فكل كتابات الفئة الأولى تشهد على هذا التوجه ، فنظرته للإنسان هي نظرة العالم المتبصر ، نظرته يستوي فيها الناس جميعا ، لا فرق بين أبيض و أسود ، تذوب الفوارق الدينية تحت غطاء الإنسانية ، و كمثال لهذه النزعة ما قاله هو عن نفسه : « لو أصغى إلي المسلمون و النصارى لرفعت الخلاف بينهم و لكنهم لا يصغون إلي «[14]

أما ما قاله الآخرون عنه فيمكن الاستشهاد بهذا القول الذي نأخذه من كتاب الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري للمؤرخ يحيى بوعزيز : « و الأمير عبد القادر ممن أودع الله فيهم صفة الإنسانية ، و على هذه القاعدة صار في معاملته الاجتماعية لكل الناس ، غنيهم و فقيرهم ، و كان حرصه على الوفاء بالعهد و الوقوف عند حدود الوعد أشد ما يكون في مواقفه الإنسانية الكبيرة طيلة حياته « [15] .

و لعل أعظم ما صنعه الأمير خارج بلاده من أعمال إنسانية هو حمايته لمسيحيي دمشق في الفتنة التي حدثت بينهم و بين المسلمين عام 1860 ، فكان ذلك منه صنيعا أوجب له الشكر في العالم و الاحترام « [16]

و من شهادة الأجانب عن هذا البعد الإنساني ، شهادة الألماني يوهان كارل بيرنت الذي عاش في إمارته ردحا من الزمن ، و كان يلتقي به و يجالسه : « لقد جمع الأمير بين دهاء العربي و الشجاعة العربية و الطموح و لكنه كان يتسم بالحلم و العدل على قدر ما تسمح به مواقفه و تطلعاته ، و يؤكد سلوكه في كل مناسبة على تسامحه و خلوه

التام من الأحكام المسبقة على من يخالفه الرأي « [17].

هكذا تتجلى إنسانية الأمير التي تضع الإنسان و القيم فوق كل شيء ، إنها النزعة التي تثق بالإنسان و تتفاءل بإمكانياته فكان كمن يعنيه الفيلسوف إمرسن في مقولته الشهيرة : « إن الفيلسوف ينظر إلى الأشياء كلها نظرة صداقة و تقديس ، و يرى أن الحوادث كلها نافعة ، و الأيام كلها مقدسة ، و البشر كلهم إلهيون « [18] .

و بالرجوع إلى الفئة الثانية – فئة العامة من الناس – التي رسمت ملامح شخصية الأمير الأسطورية ، فإننا سنودع مع هذه الفئة التاريخ الذي لا يمكن التصرف فيه و لا تغييره ، لنتوقف مع المخيال الشعبي في صناعته لعظمة الأمير .

و من دون شك فإن ما نسجه المخيال الشعبي من معتقدات عن الأمير ، و ما رواه عنه من أساطير و حكايات ، هو في كثير من ملامحه يصنع له وجودا ثانيا يختلف عن وجوده في زمن الحقيقة و يضفي عليه صفة التقديس و صفة البطل الخارق الذي تؤيده روح خفية في محاربته للأعداء .

و إذا كان لي أن أذكر ، هنا ، نموذجا من هذه المعتقدات التي اختلقتها العامة حول شخصية الأمير ، فحسبي أن أذكر ما ترسخ في الذاكرة الشعبية مما يعتقده الناس في منطقة جبالة من أن الأمير قفز به حصانه من قمة جبل طوماي إلى أسفله و هو يطارد أعداءه ، فترك حافر فرسه أثرا على صخرة ما زال باقيا إلى الآن يراه الناس و يتعجبون منه .

لقد أصبح الأمير في اعتقاد العامة قادرا على كل شيء ، ساحرا بنظرته ، هازما أعداءه بمجرد ظهورهم أمامه ، لقد أصبح عندهم أسطورة و رمزا للعناية الإلهية .

و هكذا جرد المخيال الشعبي الأمير من بعض صفاته البشرية ليضفي عليه صفات تفوق صفات البشر ، فهو البطل الذي لا يهزم و الولي الصالح صاحب الكرامات ، و هذا ما جعله يحظى بالتقدير و التبجيل الشعبي حيا و ميتا .

فالأولياء من منظور الدراسات الأنثربولوجية « ترسم لهم صورة ذهنية في المخيال الجمعي تعمل على المحافظة على مكانتهم و الإعلاء من شأنهم بين الأجيال المتعاقبة من خلال مجموعة من الطقوس و الممارسات المقننة و المرسومة و التي تتسع فيها دائرة المشاركة الشعبية بذات القدر الذي يحتله ذلك الولي في قلوب و أذهان الآخرين

من الأحياء « [19].

ثالثا : الطابع الأسطوري لشخصية الأمير :

ليس من شك في أن عدة عوامل مختلفة قد اجتمعت لتضفي على الأمير سمة الشخصية الأسطورية أختصر أهمها في العوامل الآتية :

- العامل الحربي البطولي
- العامل الديني
- عامل القابلية لأسطرة الشخصيات التاريخية

لقد كان للأمير مع فرنسا معارك شتى بين تلمسان و حدود المغرب ، لعل أشهرها معركة سيدي إبراهيم التي قتل فيها الكولونيل « مونتانياك « ، فازدادت مكانته في نفوس العامة بهذه المنطقة سموا و جلالا ، و بمرور الزمن تكونت للأمير في مخيلة الناس صورة ذلك البطل الذي يأتي الخوارق و لا يقهر .

قد لا أبتعد عن الصواب إذا قلت إن هيئة الأمير و أوصافه الخارجية كانت لمن كتبوا عنه ، و رسموا صورته ، مصدر إلهام و منبع خيال شارد ظهر الأمير فيه بمظهر الفارس القديس ، يقول بول أزان الذي أرخ لمعركة سيدي ابراهيم على لسان أحد شخصيات كتابه الذين شاهدوا الأمير :» فللأمير نظرات ساحرة مذهلة . و له صوت كصوت الأنبياء « [20]

و يضيف متحدثا عن القبائل التي كانت تناصر الأمير : « كانوا ينتظرون من رجل الساعة الذي كان عليه أن يخلصهم من دناءة المسيحيين « [21]

لقد اكتسب الأمير صورة الرجل المقدس بين أهله و القبائل التي كانت تحارب معه ، و يظهر ذلك جليا في المذكرات ، حيث لم يكن ينادى إلا ب « مولانا « أو» سيدنا «.

إن مثل هذه الكتابات التي وصفت الأمير بالبطل كثيرة ، نكاد نعثر غليها في كل ما كتب عن تاريخه .

إن شخصية الأمير الأسطورية هي على النقيض من شخصيته الحقيقية ، شطح بها الخيال الشعبي ، فأسطرها و جعل منها شخصية نمطية لن تكون سوى شخصية صلاح الدين أو علي بن أبي طالب أو غيرها من أبطال تاريخنا العربي و الإسلامي .

الهوامش

1 Durand Gilbert : les structures anthropologiques de l'imaginaire , Dunod ,11 édition , Paris 1992 , P.37

2 - جيابار ديران : المرجع نفسه ، ص 40

3 - محمد جويلي : أنثربولوجيا الحكاية – دراسة أنثربولوجية في حكايات شعبية تونسية – مطبعة تونس قرطاج ، تونس 2002 ، ص 44 -4 المرجع نغسه ، ص 44

4

5 - Durant Gilbert : la dynamique des imaginaires , P.U.F Paris , 1964 , P 92

6 - انظر هاشم صالح : عن كتاب محمد أركون أين هو المفكر الإسلامي المعاصر ، دار الساقي ، ط1 ، 1993 ، ص 12

7 * محمد أركون : الفكر الإسلامي ، قراءة علمية ، ترجمة هاشم صالح ، مركز الإنماء القومي ، بيروت 1987 ، ص 243

8 - Ansart Pierre , Idiologie , Conflits et Pouvoir , Paris , P.U.F 1977 , P.21

9 - Gilbert Durand : l4imaginaire symbolique , P.U.F , Paris 1976 , P. 07

10 - سعيد الغانمي : الوجود و الزمان و السرد ، فلسفة بول ريكور ، المركز الثقافي العربي ، بيروت 1999 ، ص 102

11 - نقلا عن عبد الرحمان عيسوي : سيكولوجية الخرافة و التفكير العلمي ،مع دراسة ميدانيةمقارنة على الشباب المصري و العربي ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت 1984 ، ص 19

12 - عبد القادر شرشار : شخصية الأمير عبد القادر من منظور الآخر ، مجلة إنسانيات ، العدد 62 ، 2013 ، ص 32

13 - المرحع نفسه ، ص 32

14 - الأمير عبد القادر : ذكرى الغافل و تنبيه الغافل ، ص 203

15 - يحيى بوعزيز : الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري ، ص 80-81

16 - اسماعيل العربي : المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير ، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1982 ، ص 02

17 - لقد كان يوهان كارل بيرنت أول من ألف كتابا وصف فيه حياة الأمير و معاركه و جانبا من عادات المجتمع الجزائري و أعرافه أثناء إقامته في معسكر الأمير جنديا في جيشه و مترجما له .

18 - كارل يسبرس : عظمة الفلسفة ، ترجمة عادل العوا ، بيروت ، منشورات عويدات ، 1982 ، ص 72

19 - فاروق أحمد مصطفى و محمد عباس إبراهيم : التراث و التغير الاجتماعي – صناعة الولي ، دراسة أنثربولوجية في الصحراء الغربية ، د.ت .ص 62

20 - Générale Paul Azan , Sidi Brahim , Horizon de France , Paris ; 1945 , P 141

21 - المرجع نفسه ، ص 132